



أ.د. عبدالله غنّام

عصابة الثلاثة

في
عنبر
الاعدام

هكذا استغل المجرمون الأمطار الغزيرة لتنفيذ الجريمة

رجل الأمن لا يعرف المستحيل في بحثه عن المجرم

الاهتمام، وعلى كل حال فإن أحدهم حسب ما سمعنا قد اعترف بالقتل، قلت له: حسناً. بعد قرابة نصف الساعة كنت أجلس إلى ثلاثة من الشبان يرتدون الزي المدني، أي أنهم لا يرتدون زي السجن، ولم تكن أيديهم مقيدة، كانوا متوترين يتبادلون النظرات فيما بينهم بقلق شديد، بعد أن رحبت بهم أسرعتم بطلب الشاي لهم، وقدمت لهم علبة السجائر. ولكنهم رفضوا تناول أي شيء، وعندما قدمت لهم نفسي، وجدت فيهم صداً ورفضاً لأي تعاون معي كل ما قالوا أنهم لا يعرفون لماذا ألقى القبض عليهم، وعندما لم أجد منهم استجابة أنهيت المقابلة، وطلبت مبحوثاً آخر، ونسيت مع الأيام هؤلاء القتلة الثلاثة.

إذا لاحظت يوماً أن هناك من يراقبك ويتابعك أو يراقب مسكنك، فاحذر ولا تمر على ذلك من الكرام، فإن هذه المراقبة قد تكون مقدمة لجريمة محتملة تحاك لك في الخفاء.

ما أن رأني د. سري طبيب مستشفى السجن الذي أجري فيه مقابلاتي مع المحكومين بالاعدام من المسجونين حتى بادرنى بالقول: د. سري. استقبلنا بالأمس ثلاثة متهمين في قضية قتل سيدتين واغتصاب إحداهما، وليتك تقابلهم الآن.. قلت: ولكن هؤلاء لم يحكم عليهم بعد، وهم رهن التحقيق، قال: تعرف عليهم وحاول معهم.. إن قضيتهم تستحق

وبعد قرابة الثلاثة أعوام التقيت باثنين منهم كانا يرتديان البدلة الحمراء التي يرتديها المحكوم عليهم بالاعدام، أما الثالث فقد حكم عليه بالأشغال الشاقة المؤبدة، وقد قابلت المحكومين بالاعدام كل على حدة.. بالطبع قابلت كل منهم ثلاث مرات، والغريب أن أحدهم قد اعترف بما ارتكب بينما كان الآخر ينكر تماماً حتى بعد أن أصبح منتظراً حكم الاعدام، وحتى بعد أن أصبح الانكار لا يفيد.

ومن واقع هذه المقابلات مع المبحوثين، ومن تحليل ملف القضية وقرار الاتهام وقرار المحكمة ألخص وقائع هذه القضية وذلك على النحو التالي:

التشكيل العصابي

تبدأ وقائع القضية في ظهيرة أحد أيام شهر يونيو ١٩٩١م حيث يقف شاب نحيف أسمر اللون يلبس الزي العسكري، ويتأمل المارة.. انه (شيخو)، وهو شاب مجند يبلغ من العمر ٢١ عاماً، يقف في نوبة حراسته على مقربة من محل حلواني شهير بالاسكندرية على مقربة من فندق سان استقانو.. ويلمح الشاب سيدتين أجنبيتين متقدمتين في السن تتحليان بكمية كبيرة من الذهب تدخلان المحل وعرف بعد ذلك أنهما تعملان فيه بائعتين، ومنذ لك اليوم أصبح الشاب يرى هاتين السيدتين يومياً في الساعة الثانية ظهراً.. تمران به ويراهما في نوبات عمله الأخرى تعودان في التاسعة مساءً.

بعد مضي خمسة أشهر كان شيخو يقف في مكان حراسته كالعادة، ولكنه كان هذه المرة متوتراً ويستبد به ضيق شديد كان مفلساً تماماً، ويفكر في طريقة للحصول على النقود، كان قد تعرف على شخصين من المنحرفين الذين يجد دائماً معهما النقود والسجائر والمخدرات التي أصبح مدمناً لها، ولكنه استشعر في الفترة الأخيرة أنهما بدأ يتعاملان معه بدون اهتمام بعد أن تبين لهما عدم قدرته على مجاراتهما في تحمل نفقات سهراتهما، ومن ثم فقد بدأ يتعدان عنه ولا يلتقيان به مساء كل ليلة كما اعتاد منذ تعرف عليهما منذ شهرين تقريباً.

ولح السيدتين الأجنبيتين تستند كل منهما على الأخرى، وتمران من أمامه، وبدأ يفكر لماذا لا يحصل على الذهب الذي تتحليان به؟! ثم أنهما لا يد أن يكونا ثريتين ولديهما أموال كثيرة، وبدأ يفكر لماذا لا يستعين بصديقيه (السيد) و (سلامة) في هذه العملية، انهما محترقان ويمكن أن يقوموا بذلك بطريقة أفضل لا تثير الشكوك، ثم إن ذلك قد يعمل على تدعيم علاقته بهما.

بعد أسبوع من اتخاذ (شيخو) لقراره وفي مساء إحدى ليالي شهر يناير كان الجو شديد البرودة ورياح المطر يتساقط بدون انقطاع، وفي إحدى المقاهي بحي شعبي كان ثلاثة أشخاص يجلسون بأحد أركان المقهى يتحدثون بصوت منخفض رغم انه لا يجلس على مقربة منهم أحد، انهم شيخو وصديقيه، سلامة الذي يعمل عاملاً ويبلغ من العمر ٢٥ عاماً، ومحروس الذي يبلغ من العمر ٢٧ عاماً (عاطل)، قال شيخو: لقد أحضرت لكم كل المعلومات التي تحتاجونها، لقد عرفت لكم عنوان سكنهما، فقد تبعتها على مدى خمسة أيام، وهما سيدتان عجوزتان أجنبيتان تعيشان وحدهما بفيلاً من ثلاثة طوابق، تسكنان شقة بالطابق الأرضي، أما الشقتان بالطابقين الثاني والثالث فإنهما مغلقتان ولا يقيم بهما أحد، وهما لا تخرجان بعد عودتهما من العمل، والفيل لها سور حديدي منخفض، قال سلامة: لا بد أن نراقب المكان، ونرى هاتين السيدتين بأنفسنا.. وطبقاً لما جاء في أقول المتهمين فقد بدأ سلامة ومحروس ومعهم شيخو يراقبون مكان الجريمة والسيدتين اعتباراً من أول يناير واستمرت مراقبتهم لهما حوالي ثلاث أو أربع مرات، وتأكدوا أخيراً أنهما تعيشان وحدهما بالبيت، وأخيراً وفي نهاية يناير اتخذت العصابة قرارها باقتحام البيت والاستيلاء على ما فيه.

الجريمة ليلة البرق والرعد

في الساعة الثالثة والنصف بعد منتصف ليلة الأول من فبراير كانت الأمطار تنهمر غزيرة والرعد يهدر في سماء الاسكندرية والبرق يشق ظلام الليل، كانت أشباح لثلاثة

درخمة يوناني. وحملاً ما رأياه غالباً غير ذلك، وغادرا الفيلا وانطلق الثلاثة بعد أن أنهوا مهمتهم ليغيبوا في ظلام الليل تاركين جثتين وباب الشقة مفتوحاً.

اكتشاف الجريمة والجناة

في الساعة الثانية من صباح اليوم التالي لم تحضر السيدتين الشقيقتين إلى محل عملهما، وعندما بلغت الساعة الثالثة استدعت السيدة (كاترين) مديرة المحل الساعي الذي يعمل بالمحل وطلبت منه سرعة التوجه إلى منزلهما لاستعجال حضورهما ومعرفة سبب تأخرهما.

وعاد الساعي بعد دقائق، حيث أن مسكن القنيلتين قريب من المحل - عاد ويبدو عليه التوتر والقلق والخوف وقال انه وجد باب الفيلا مغلقاً بالقفل، لكنه رأى باب الشقة التي تعيش فيها السيدتين مفتوحاً رغم أنه معروف عنهما الحذر والحرص وعدم ترك باب الشقة مفتوحاً أبداً، كما أن هناك مصباحاً كهربائياً مضاء بالشقة رغم أن الوقت نهراً.

ولما كانت مديرة المحل تعلم مدى حرصهما فقد أسرعت بإبلاغ الشرطة وسرعان ما كانت المنطقة تعج برجال الشرطة والمحققين وكان لوقوع الجريمة دوي كبير خصوصاً وأن الضحيتين تبلغان من العمر ٦٣ و ٦٤ عاماً وأن إحداهما مغتصبة.

وبدأت رحلة البحث عن الجناة وكانت رحلة طويلة وصعبة، فمتابعة خط سير القنيلتين ورصد تحركاتهما ومشاهدتهما السابقة مباشرة على اكتشاف الجريمة تبين مطابقتها مع خط السير المعتاد لهما يومياً، كما أن فحص المترددين عليهما والمتعاملين معهما تبين عدم وجود صلة لأي منهم بالحادث، وقد تم عمل نشرة عن المسروقات الذهبية لدى المتعاملين فيها من الصاغة وتجار الذهب ولم يكشف ذلك عن شيء أيضاً، كما أن التحري حول المحيطين من العمال والمترددين على منطقة الحادث خلال فترات النهار والليل من عمال توزيع البوتوجاز والقمامة وأصحاب الحرف المختلفة

أشخاص تتسلل في اتجاه الفيلا وهم لا يكادوا يرون في ذلك الضوء الخافت الذي يلقي به مصباح ضعيف يهتز بشدة تحت تأثير الرياح العاتية.

المخدرات مفتاح كل جريمة.

وصل الثلاثة إلى الفيلا في حوالي الرابعة بعد منتصف الليل، كان السكون يلف المكان، إلا من رذاذ قطرات المطر، واطمان الثلاثة إلى خلو الطريق والمكان تماماً من الناس، وتقدم سلامة ومعه محروس، وتسلفا السور الحديدي للفيلا مما أدى إلى إصابة يد الأول بجرح قطعي يباطن يده اليسرى، وظل شيخو يراقب الطريق خارج الفيلا.. تقدم سلامة ومعه محروس إلى شباك بشقة القنيلتين وحاولا فتح (الشيش) الخاص بالنافذة مستخدمين قطعة من الحديد أعدها شيخو لهما من قبل إلا أنهما لم يتمكنوا من الدخول إلى الشقة لوجود حاجز حديدي في النافذة التي فتحتها من الخارج، ثم حاولا فتح شيش نافذة أخرى فوجدا حاجزاً حديدياً مماثلاً، ولما لم يتمكنوا من دخول الشقة من النوافذ اتجها إلى باب الشقة، وقاما بالضغط عليه بكل قوتها مما أدى إلى فتح باب الشقة، وفي تلك اللحظة استيقظت السيدتين وحاولتا الاستغاثة فاندفعا إليهما مسرعين، وأمسك محروس بالأولى وانهاled عليها ضرباً ثم أسقطها أرضاً وكمم فمها بقطعة من القماش تناولها بسرعة من محتويات الشقة وأخذ يركلها بشدة بقدميه في صدرها وبطنها وركلها بمقدمة حذائه بمقدمة الوجه، ثم قام بعد ذلك باغتصابها، ولما كانت هذه السيدة في الرابعة والنسرين فقد أسلمت الروح سريعاً، ولم يتركها إلا بعد أن تأكد من موتها.. واستولى بعد ذلك على سلسلتين ذهبيتين وديلة ذهبية ووزارين من الذهب وانسيال ذهبي، وميدالية من الذهب وخاتم ذهبي.. وفيما كان يقوم بجريمته هذه كان سلامة قد قتل العجوز الأخرى خنقاً.

وأسرع القاتلان بجمع كل ما رأياه ثميناً بالشقة، وعثرا في أحد الأدراج على مبلغ ٤٠٠٠ جنيه مصري و ٥٥٠٠

تعقيب الأمن والحياة

الخفافيش لا تعمل إلا في الظلام . . . وحال المجرمين كحال الخفافيش ، وهذا ما ينطبق على أفراد هذه العصابة عندما انتظروا حلول الظلام ليرتكبوا جريمتهم . . . ولأنهم محترقون في الاجرام ، استغلوا فرصة هطول الأمطار ، حيث تخلو الشوارع من المارة ، ويطمشوا إلى أن تحركاتهم مضمونة أكثر مما لو كان الجو صحواً . . . كانت محاولات المجرمين لكسر النوافذ مبنية على قناعتهم أن المنزل الذي تسكنه الضحيتان ليس به رجال يقفون في وجوههم وهذه هي أقصى درجات الجبن لدى هؤلاء المجرمين . . .

إن ثمة حقائق يمكن الاستفادة منها من واقع أحداث هذه القضية ، فمن ناحية أولى يتضح أن هؤلاء المجرمين نشأوا تنشئة قوامها التشرد ، وذلك أمرٌ يؤكد على أن حياتهم بنيت على أخطاء لعل أخطرها الغدر ، والتنصل من كل مقومات الانسانية . . . وثانية هذه الحقائق متصلة بالضحيتين ، صحيح انهما وفق ما دلت عليه التحقيقات لم يتهاونا في المحافظة على سلامة المنزل ، فالنوافذ كانت محصنة بالحديد ، لكن الحصانة كان من الواجب أن تكون أكثر خصوصاً في الباب الرئيس ، الذي كان كسره سهلاً ، وربما يكون الخطأ الذي وقعت فيه الضحيتان هو إبراز ما لديهن من ذهب كانتا تحليان به ، وهذا التصرف هو الذي قادهما إلى مصيرهما المحتوم ، وكان من الأجدى بهن أن تمتعان بالفطنة والحذر والانتباه إلى كل ما يدور من حولهن .

وتبقى حقيقة أخرى وهي أن المجرمين كانوا على درجة خطيرة من الاجرام ، تمثلت بارتكابهما جريمة الاغتصاب ، ثم جريمة القتل دون مراعاة لعجزهن وكبر سنهن وعدم المقدرة على المقاومة . . . والحقيقة المهمة هي قدرة رجال الأمن على ضبط المجرمين ، وتقديمهم إلى العدالة لينال اثنان منهم عقوبة الاعدام وينال الثالث السجن مدى الحياة مع الأشغال الشاقة . . . هكذا تقع الجرائم . . . وهذه هي نتيجة التربية السيئة ، ونتيجة التعطش إلى المخدرات الذي هو جزء من التعطش إلى الدم والقتل وارتكاب أفظع المجرمات .

والتحري حولهم ، كشف عن عدم وجود أي صلة لكل منهم بالحادث .

وأخيراً بدأ ضوء خافت إلا أنه ما لبث أن سطع إذ جاءت التحريات بأن هناك شخصاً يدعى شيخو وهو شاب كان معيناً ضمن قوة حراسة أمام نقطة قريبة قد شوهد يتردد كثيراً في الفترة الأخيرة على منطقة الحادث وذلك في الفترة السابقة على الحادث مباشرة ، رغم عدم وجوده ضمن أفراد الخدمة في ذلك الوقت ، وبالتحري عنه تبين أنه شاب سيء السمعة ومعروف عنه مخالطة الأشقياء ، وأنه تربطه علاقة وطيدة بكل من سلامة ومحروس ، وقد شوهد ثلاثتهم بالقرب من الفيلا محل الحادث قبل وقوعه بعدة أيام .

ولما كانت الجريمة قد ارتكبت أساساً بقصد السرقة ، فقد تم استئذان النيابة في ضبط وتفتيش شخص ومسكن المشتبه فيهم الثلاثة ، وتم ضبط كل من محروس ، وشيخو ولم يسفر تفتيشهما وتفتيش مسكنهما عن شيء إذ لم يتم العثور على شيء من المسروقات معهما أو في مسكنهما .

وأخيراً تم ضبط ثالثتهم (سلامة) وبتفتيشه وتفتيش مسكنه وفي حضوره تم العثور على ورقتين مالييتين من فئة الخمسة آلاف درخمة يوناني وكذا مبلغ ألف وخمسمائة جنيه مصري مخبأة بداخل غرفة نومه ، وبمواجهته بما توصلت إليه التحريات والمضبوطات اعترف تفصيلاً بارتكاب الجريمة بالاشتراك مع المتهم الثاني محروس وبتحريض واتفاق سابق مع المتهم شيخو ، وبمواجهة المتهمين الآخرين بما انتهت إليه التحريات واعتراف سلامة اعترف كلاهما بالجريمة ودور كل منهما فيها .

في أول نوفمبر عام ١٩٩٤م وبعد قرابة ثلاث سنوات صدر الحكم في القضية وقد حكمت المحكمة حضورياً وبإجماع آراء أعضائها بمعاقبة كل من سلامة ومحروس بالاعدام شنقاً بما أسند إليهما ، كما حكمت بمعاقبة شيخو بالأشغال الشاقة المؤبدة .